# دور بولس في تشكيل المسيحية

د . منصور رحماني
جامعة سكيكدة

تعتبر البيئة التي ظهرت ونشأت فيها المسيحية في غاية التعقيد ، فاليهود الذين جاء المسيح منهم ليكمل ما جاء به أنبياء اليهود السابقون ، كانوا فريقين ظاهرهما وحدة الدين والعادات والتقاليد ، وباطنهما الخلاف في هذه الأمور، والسبب في ذلك ، هو أن اليهود الذين نشأ المسيح بينهم والذين كانوا يقيمون في فلسطين كانوا قد استقروا على ما عندهم في التوراة التي كانت بأيديهم ، ولم يكونوا على استعداد لقبول أي دين جديد ، ولذلك كانت مواقفهم مما جاء به المسيح هو الرفض المطلق ، خصوصا أنه لم يتحدث إليهم باللغة التي كانوا ينتظرونها منه ، كان يدعو إلى التأمل في النفس وحب الغير ، وإلى التواضع والإيمان العميق بالله ، بينما كانوا يترقبون دعوة إلى الصراع المسلح من أجل استرداد مجد إسرائيل .

فقد تعدى الرومان مدة تزيد عن جيل على الحرية اليهودية ، ولقد أدت الإجراءات القمعية التي مارسوها إلى إثارة الروح الوطنية ودفعها إلى حياة أشد

شراسة .. تقول الموسوعة اليهودية : تاقوا إلى المحرر المنتظر من بيت داود الذي سيحررهم من نير حكم المغتصب البغيض وينهي الحكم الروماني اللاديني ، ويؤسس مكانه مملكة السلام والعدل .

لقد كان اليهودي يُلقَّنُ منذ صغره بأن المسيح سيكون عند مجيئه قائدا حاكما ، سياسيا منتصرا ، وأنه سيحرر اليهود من نير العبودية والاستعمار ، ويرد إسرائيل إلى مكانه الطبيعي اللائق به[1] .

وعلى العموم فقد أحسوا بأن المسيح لم يأت إليهم وحدهم ، فقد كانت دعوته للجميع ، ولا شك أن في ذلك إنقاصا من شعورهم بالتميز ، ولذلك ناصبوه العداء ، وهم الذين دبروا له ما وقع مع بيلاطس عند زيارته للقدس ، كما أن أتباعه كانوا من السذج والبسطاء ممن ليست لهم كلمة في المجتمع اليهودي في فلسطين ، ولذلك هربوا وتفرقوا بعد الذي رأوه وقع بأستاذهم ، ولعل هذا الضعف الذي كان عليه هؤلاء التلاميذ والأتباع هو الذي جعلهم لا ينكرون على بولس الأمور الغريبة التي جاء بها والتي تخالف بلا شك حقيقة ما كانوا يتلقونه عن المسيح ، خصوصا وأن بولس كان في مركز قوة ، كان من أشد مضطهديهم ثم يتحول فجأة إلى العمل معهم .

وأما الفرقة الثانية من اليهود فهم ما يُسمى بيهود المهجر ، وهؤلاء يختلفون عن نظرائهم من يهود فلسطين ، حيث كانوا قلة في المناطق التي هاجروا إليها ، وليس غريبا أن يكون هناك تأثير لتلك البيئات التي هاجروا إليها عليهم ، ولذلك فلم يكونوا على ذلك التعصب الذي كان عليه يهود فلسطين ، فهؤلاء اليهود هم الذين قبلوا دعوة عيسى ونقلوها إلى غيرهم من الأجناس الأخرى ، بعضهم تلقاها من المسيح نفسه أثناء مواسم الحج ، وبعضهم الآخر

---

[1] - جوش ماكدويل – نجار وأعظم – ترجمة سمير الشوملي – دار فيدا ص56 وما بعدها .

تلقاها عن التلاميذ ، لكن هؤلاء اليهود الذين كانوا متأثرين بما كان سائدا في بيئاتهم صبغوا ما أخذوه ببعض تلك المؤثرات ، كما نلاحظ اليوم أن أتباع الديانات المختلفة تختلف تطبيقاتهم للدين الواحد حسب اختلاف بيئاتهم ، وإذا كان القديس بولس هو حامل لواء نشر المسيحية ، وواضع عقائدها الأصلية فهو قد كان من يهود المهجر ، وإذا تأملنا البيئة التي كان فيها فإننا نجد أن ما أضافه للمسيحية إنما هو مأخوذ عن تلك البيئة ، فأين كان بولس ؟ وماهي خصائص بيئته ؟ وما الذي أضافه للمسيحية ؟

**من هو بولس ؟**

كان اسم بولس قبل اعتناقه المسيحية هو شاءول ، وكان من أشد مضطهدي أتباع المسيح ، أقر بذلك بنفسه وشهد عليه تلاميذه ومعاصروه ، فهو يقول في رسالة أعمال الرسل ، وهي إحدى رسائله ": سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية ، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي (أعمال الرسل:23 :6)

ويقول عنه تلميذه المقرب منه لوقا في السفر ذاته : وكان شاول راضيا بقتل المسيحيين وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن (7 :60) ، واستمر على هذا النحو من الاضطهاد فترة ليست بالقصيرة إلى أن وقعت المشاهدة التي ادعاها بطريق دمشق ، والتي حولته من النقيض إلى النقيض ، جعلت بعض الباحثين يعتبرون ذلك مجرد تحول تكتيكي استراتيجي ، بمعنى أنه كان يعذب أتباع المسيح محاولة منه القضاء على الدين الجديد ، ولما رأى أن الأمر قد أصبح خارج السيطرة ، بازدياد المسيحيين رغم التعذيب والتنكيل ، استغل ضعفهم فدخل في دينهم من أجل محاربته من الداخل ، وتغيير عقيدته وتعاليمه ، وقد أفلح في ذلك .

فهو قد دخل المسيحية وأصبح من أبرز معلميها حتى فاق الثلاميذ أنفسهم ، مع أنه لم يلتق بالمسيح في حياته ، فقد ورد في رسالة أعمال الرسل :"وعندما كان بولس قريبا من دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ قال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده ، فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرز بالمسيحية (أعمال الرسل9 :3-20)

وقد استخف الطرب ببعض التلاميذ ففرحوا بانضمامه إليهم بعد الذي رأوه منه، وقد يكون قد حفظ بعض أقوال المسيح ، واستظهرها أمامهم ليوهمهم أن المسيح قد أوحى بها إليه كدلالة على صدقه ، ولكن العديد من التلاميذ قد شكوا في أمره ، ثم تركوه ، وقد اشتكى من ذلك في بعض رسائله، بحيث ظهرت مجموعات من الكتابات التي خالفت من الأساس التعاليم التي كان يعمل على نشرها من خلال رسائله.

**لمحة مختصرة عن بيئة بولس وثقافته:**

إن الدراسة المفصلة لرسائل بولس التي يجمع النقاد على صحة نسبتها إليه تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة غريبا حقا : مزيج من دعوى الإثنا عشر الأساسية ، ومن الأفكار اليهودية – التي يرجع بعضها مباشرة إلى النصوص المقدسة القديمة ، بينما يرجع البعض الآخر إلى اعتبارات دينية حديثة نسبيا . ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ، ومن الذكريات الإنجيلية والأساطير الدينية الشرقية [1].

---

[1] - شارل جنيبر- – المسيحية نشأتها وتطورها – ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود – منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت – ص70

لقد نشأ بولس بمدينة طرسوس التي تقع على مفترق طرق التجارة في ذلك الوقت فكانت العقائد والأفكار تُنقل مع السلع والبضائع جنبا لجنب ، وكانت صلاتها متعددة ومتنوعة ، فهي قريبة من بلاد الفريجيين ، ولها صلات مع الشام ، وعلاقات دائمة مع فينيقيا ، ولها روابط أيضا مع مصر ، وكل هذه المناطق له آلهتها وطقوسها ، وأما طرسوس فقد كان بها إلهان لهما مكانة خاصة ، الأول يُدعى "بعل طرز" أي سيد طرسوس ، وهو الذي قرن أهل اليونان بينه وبين زيوس ، والثاني "ساندان" الذي قرنه أهل اليونان أيضا بهرقل .

وكان "ساندان" إله خصوبة وزراعة ، وكان الناس يحتفلون به كل عام ، فيتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء ، وكان يمثل بين أهل طرسوس نفس المعتقدات المتمثلة خلال هذا العصر في" أتيس" بين الفريجيين ، وفي "تموز" بين أهل بابل ، وفي "أدونيس" بالشام ،و"أوزيريس " بمصر ، وغيرهم من الآلهة المشابهين في بلاد أخرى .. وكان آلهة الزراعة الآخرين الذين يموتون ويُبعثون يرى فيهم أتباعهم أنهم وُسطاء بين البشر والإله الأعظم ، ويعتبرونهم شفعاء ، ومنقذين ، وهذا يدعونا إلى الاعتقاد أن "ساندان" لم يختلف عنهم[1] .

ومما لا شك فيه أن بولس قد تأثر بهذا الواقع الذي كان سائدا في مدينته ، وفيما حولها ، إله يموت من أجل أن يشفع ، وهو الذي يُعتبر طوق النجاة للمؤمنين به ، وبما أن بولس كان من يهود المهجر المتفتحين والمتأثرين بما حولهم ، فلم يكن غريبا أن يقارن بين ما عند اليهود المتعصبين في فلسطين من جهة ، وبين ما عند أهل طرسوس والوثنين من جهة أخرى ، ليرى أن ما كان يُضفى على تلك الآلهة يمكن أن يكون للمسيح من باب أولى ، وهو الأمل في

[1] - شارل جنيبر – المرجع السابق – ص 79 .

قيام مملكة الله التي كان ينتظرها اليهود ، وبتعبير آخر فإن بولس في أول أمره اضطهد أتباع المسيح على غرار ما كان يفعله اليهود المتعصبين الذين كانوا يرونه فوضويا مشوشا على ما ورثوه من الدين ، لكن مقارنته لما جاء به المسيح بما كان عند اليهود ، وما كان عند غيرهم ، رأى أن الأمل يكمن في رسالة المسيح ، فاليهودية التي كانت سائدة في فلسطين كانت ديانة محلية منغلقة على نفسها لا يمكن أن تكسب أتباعا جددا ، فهي حكر على اليهود ، أما المسيح فقد كان خطابه موجها للجميع لليهود والرومان والإغريق وغيرهم ، وكان بولس يهوديا مطلعا على الثقافة الدينية لليهود، يونانيا مطلعا على الفلسفة اليونانية خصوصا الفلسفة الرواقية التي كان لها ما يشبه الجامعة في مدينة أنطاكيا التي كانت قريبة من طرسوس، وفوق ذلك فقد كان يتمتع بصفة المواطن الروماني، ومع طموحاته العالية، كانت دعوة المسيح مع شيء من التعديل هي فقط ما يمكن أن يحقق له طموحاته .

إن العقائد التي جاء بها بولس للمسيحية لم يأت بها المسيح ، فبولس لم يلتق المسيح ولم يتلقّ المسيحية عن التلاميذ ، وإنما تلقاها عن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين وأخذوا عن المسيح ، ولما ضاقت السلطات الدينية لليهود ذرعا بهم، خرجوا منها ، بما يحملونه من تعاليم المسيح وعنهم أخذ بولس ، لأن النتائج الأكيدة لدراسات الباحثين أن المسيح لم يدّع قط أنه المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله ، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل – بالنسبة إلى اليهود – سوى خطأ لغويا فاحشا وضربا من ضروب السفه في الدين ، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير " ابن الله " على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل

الرابع، وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما[1].

ولو أراد أن يتخذ لقبا لاتخذ لقب "ابن داوود" المعروف بين بني إسرائيل، والذي كانوا يعتبرونه لقب المنقذ المنتظَر ولكنه لم يفعل ، وهو لم يتخذ كذلك الذي يبدو أن الأناجيل ترى فيه أخص خصائص شخصيته ورسالته ألا وهو " ابن الإنسان" ، أو على الأقل فهو لم يستخدمه في معنى "المنقذ المنتظر" [2].

لكن السؤال المحير هاهنا ، كيف استطاع رجل واحد وهو بولس أن يصنع عقيدة ودينا ويصدقه حتى تلاميذ المسيح ، وهو يبث فيهم غير ما سمعوه من المسيح ؟

إن الذي يُستخلص من أحوال وأقوال بولس التي دُوِّنت في رسائله وأعماله وأقواله التي ذكرها سفر أعمال الرسل ، أنه امتاز بثلاث صفات جعلته في الذروة من الدعاة إلى المباديء والعقائد :

**الصفة الأولى**: أنه كان نشيطا دائم الحركة ذا قوى لا تكل ، وذا نفس لا تمل.

**الصفة الثانية** : أنه كان ألمعيا شديد الذكاء بارع الحيلة ، قوي الفكر يدب الأمور لما يريد بدهاء الألمعي ، وذكاء الأروعي ، يسدد السهام لغاياته ومآربه ، فيصيبها .

---

[1] - يمكن لليهودي أن يعتبر نفسه عبدا ليهوه لا إبنا ليهوه ، ومن المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه عبد الله وتقدم للناس بهذه الصفة ، والكلمة العبرية "عبد" كثيرا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني "خادما" و"طفلا" على حد سواء ، وتطور كلمة "طفل" إلى كلمة "إبن" ليس بالأمر العسير ، ولكن مفهوم "ابن الله" نبع من العالم الفكري اليوناني .

[2] - شارل جنيبر – المرجع السابق – ص 39- 40

**الصفة الثالثة** : أنه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير ، قوي السيطرة على أهوائهم ، قديرا على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه[1].

فهذه الصفات التي كان يتمتع بها مكّنته من إنشاء دين ومسيحية تختلف في جوهرها وأهدافها عن مسيحية المسيح ، يقول بيري (**berry**): وكان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبدا ، ولكن شاءول كوّن المسيحية على حساب عيسى ، فشاءول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود ، كما أدخل صورا من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعا له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد (**Lord**) استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في **Mithras** و **Cybele** فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس ، وعمد كذلك – ليرضي المثقفين اليونان _ فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف **Philo** فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة **The Logos** أو ابن الإله ، أو الروح القدس **The Holy Ghost**[2].

وأهم الأمور التي أضافها بولس إلى مسيحية عيسى أربع ثلاثة منها تكون جوهر العقيدة المسيحية ، وهذه الأمور هي :

1 – أن المسيحية ليست دينا لليهود بل هي دين عالمي .

2 _ التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .

3 _ كون عيسى ابن الله ونزوله ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر .

---

[1] - محمد أبو زهرة – محاضرات في النصرانية – شركة الشهاب – الجزائر1989 ص 147 .

[2] - Berry - Religions of The World -p.70

4 _ قيامة عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر[1].

والسؤال الذي يتحجج به اللاهوتيون اليوم ، ويحق لهم أن يسألوه ، كيف وافق الثلاميذ على ما جاء به بولس ؟ ألم تكن هناك معارضة له بعد ذلك ؟ ولماذا جاءت كل الأناجيل التي بأيدينا اليوم موافقة لما دعا إليه بولس؟

**مقاومات مسيحية بولس**

في البداية لا بد من التنبيه إلى أن مسيحية عيسى ليست كلها عطاءات ففيها حقوق وواجبات ، فيها ما يرضي البعض ، ويغضب البعض الآخر ، وهذا هو شأن الأديان والشرائع العادلة ، بينما كانت مسيحية بولس تهدف إلى إرضاء جميع الأطراف ، الرومان والوثنيين ، والفلاسفة ، واليهود والعامة ، والسلطات ، والهدف من ذلك هو جلب أكبر عدد ممكن من الأتباع ، وهناك طرف واحد فقط لا ترضيه هذه المسيحية ، وهو الطرف الذي يبحث عن الحقيقة كما هي ، ولذلك فليس عجيبا أن يكون أتباع المسيح وتلاميذه قلة ، وعكس ذلك يكون أتباع بولس .

فأفكار بولس انتشرت في الغرب بين الوثنيين واليونان أكثر من انتشارها في الشرق حيث مهبط الوحي ، وموطن التوحيد الخالص ، ولقد وضّح بولس في بعض رسائله ارتداد الناس عنه ، فبرنابا الذي قدمه في البداية إلى التلاميذ ، تخلى عنه بعد أن عرف حقيقة دعوته ، وفي ذلك يقول بولس : "حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى رياء الآخرين[2] " ، وليس برنابا فحسب فالكثير ممن عرفوا حقيقة

---

[1] - أحمد شلبي – مقارنة الأديان -2 – المسيحية – مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر – ص91 .

[2] - غلاطية2 : 13

ما يدعو إليه تركوه ، فهو يقول في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس " أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني[1]" ، ويقول في الرسالة ذاتها : بادر أن تجيئ إليّ سريعا لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي ، وكريسكيس إلى غلاطية ، وتيطس إلى دلماطية ، لوقا وحده معي ، اسكندر النحاس أظهر لي شروراكثيرة ليجازه الرب بحسب أعماله، فاحتفظ منه أنت أيضا لأنه قاوم أقوالنا جدا ، في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني[2].

ومما يدل أن هناك تعليم آخر للمسيحية غير ما كان يعلِّمه بولس ما كتبه أيضا إلى تيماثاوس :" طلبت إليك أن تمكث في إفسس إذ كنت أنا ذاهبا إلى مكدونية لكي توصي قوما ألا يعلموا تعليما آخر ، ولا يصيخوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان ، وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء ، الأمور التي إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل يريدون أن يكونوا معلمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه"[3] .

وفي رسالته إلى تيطس يقول :" يجب أن يكون الأسقف ملازما للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادرا أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين ، فإنه يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما الذين يقولون بالختان الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتا بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح"[4].ويقول في رسالته إلى الكولوسيين

---

[1] – ثيموتاوس الثانية 1 : 15

[2] – ثيموتاوس الثانية 4 : 9-16

[3] – تيموثاوس الأولى 1 :3-7

[4] – الرسالة إلى تيطس 1 : 9-11

:" يسلم عليكم أرسترخس ومرقس ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان. هؤلاء هم وحدهم العاملون معي لملكوت الله"[1].

وفي الباب الأول من رسالته إلى أهل غلاطية " ثم إني أعجب من أنكم أسرعتم بالانتقال عمن استدعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، وهو ليس بإنجيل بل إن معكم نفرا من الذين يزعجونكم ويريدون أن يحرفوا إنجيل المسيح" ( الرسالة إلى أهل غلاطية1 :6 -7 ) ، وهذه العبارة على قصرها تحمل بين سطورها ثلاثة أمور :

الأول : أنه كان في عهد الحواريين إنجيل يسمى بإنجيل المسيح .

الثاني : أنه كان إنجيل آخر مخالف لإنجيل المسيح في عهد بولس .

الثالث : أن المحرفين كانوا بصدد تحريف إنجيل المسيح في زمان بولس

قال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره في شرح هذا المقام:هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة ، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ، وكان (فابري سيوس) جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات ، وبين في بعضها وجوب إطاعة الشريعة الموسوية ووجوب الختان مع إطاعة الإنجيل [2].

وفي القرن الأول كانت هناك فرقة تسمى الفرقة الإبيونية معاصرة لبولس ومنكرة عليه أشد الإنكار ، وكانت تقول بأنه مرتد ، ولم تكن تقبل إلا بإنجيل متى الذي كان يختلف عن الإنجيل الموجود اليوم بين النصارى في مواضع

---

[1] - الرسالة إلى الكولوسيين 4 : 10-11

[2] - رحمة الله الهندي – إظهار الحق – المكتبة التوفيقية القاهرة –ج1 ص320 -321

كثيرة ، ولم يكن البابان الأولان فيه لاعتقادها أنهما محرفان ، كما كانت هناك فرقة أخرى تسمى الماريسيونية ، وفي القرن الرابع قال فاستس الذي كان يعد من أعظم علماء فرقة ماني كيز المسيحية :

" أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيبوا صورته الحسنة وأفضليته لأن هذا الأمر محقق أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفا من أن لا يعتبر الناس تحريره ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها ، وآذى المريدين لعيسى إيذاء بليغا بأن ألف الكتب التي توجد فيها الأغلاط والتناقضات [1].

إذن لقد كانت هناك مقاومة لمسيحية بولس كما دلّت عليها رسائله ، وكما رأينا من الفرق السابقة ، وإذا لم نجد اليوم أثرا لتلك المقاومة غير ما يُفهم من رسائل بولس ، فإن السبب في ذلك يعود إلى إعدام تلك المؤلفات عندما تمكنت مسيحية بولس ، ودليل ذلك ما وقع في مجمع نيقية حيث كان عدد المخالفين لمسيحية بولس هم الفئة الغالبة ، وسيأتي تفصيل ذلك ، لقد كان بولس وأتباعه يقدمون مسيحية كيفية ترضي الجميع ، واستغل في نشرها المكانة والدهاء والثقافة التي كان يتمتع بها ، بينما كان أتباع المسيح من الضعفاء المضطهدين ، ولم يعملوا على تطويع المسيحية لترضي الجميع كما فعل بولس ، بل إن معاناتهم قد ساهمت بقسط كبير في قبول بولس بينهم في أول الأمر.

وقد استمر الخلاف والصراع بين فريقين فريق بولس ومن ورائه ما ذكرناه ، وأصحاب مسيحية عيسى ، و في بدإ الجيل الرابع كانت المسيحية متوزعة بين حزبين أحدهما يقر بألوهية المسيح ، والآخر ينكرها ، وفي سنة **312**

---

[1] - رحمة الله الهندي – المرجع نفسه –ج1 ص 317- 319

م نبغ القس أريوس أسقف نيقوميديا فقال : إن للأب والإبن جوهرين متميزين ، والثاني خليفة الأول وليس هو باله ، فمال إليه جمهور كبير من الأساقفة والكهنة والشعب ، فلما رأى الإسكندر أسقف الإسكندرية هذه الحال استدعى بعض الأساقفة وألفوا مجمعا حرّموا فيه أريوس ومذهبه ، وجمع مجمعا حضره كثير من الأساقفة أثبت به مذهبه وحرم من خالفه فكثرت أحزاب أريوس واشتد الخصام بين النصارى ، وحدثت بينهم مجادلات عنيفة كادت تزعزع أركان السلام في البلاد ، فكتب الإمبراطور قسطنطين إلى أريوس والإسكندر ينصحهما بقطع مادة الخصام والإمساك عن الخوض فيما لا يعلمان حتى قال لهما في آخر رسالته : "ليس أحد فيكم يستطيع أن يتحقق إن كان يسوع مخلوقا أو مولودا ، فلو كان لهذه المسألة قيمة جوهرية لما أغفل المسيح التكلم فيها ".

فلم تفد نصيحة الإمبراطور ومضى الناس على شأنهم وبلغت المخاصمات شأوا بعيدا ، فرأى أن يستدعي مجمعا جامعا لبت هذه المسألة بتا لا مقال بعده لقائل ، فالتأم هذا المجمع في نيقية سنة **325**م ، واجتمع فيه من الأساقفة عدد كبير ، واحتشدوا إليه من سائر أصقاع الأرض ، وكان عدد المجتمعين **2048** ، فكثر الحجاج واللجاج في المجمع وتطاول بعض الأساقفة على بعض بالطعن والسب ، فكان رأي الأريوسيين أن المسيح إنسان مخلوق من العدم ، وكان رأي خصومهم أنه الإبن الوحيد لله ، وهو عقل الأب وقدرته وحكمته وضياء مجده ، وأنه مساو للأب في الجوهر ، فأبى الأريوسيون قبول هذا التحديد فنفاهم قسطنطين ، وأمر أنصار ألوهية المسيح أن ينشروا ما حصل عليه اتفاق أكثرية الأساقفة في الآفاق.

لبث أريوس وشيعته في النفي بضع سنين ، ثم عادوا إلى الإسكندرية ، وبعودتهم فسخ الأساقفة الذين أُكرهوا على التوقيع ما تعهدوا به من الاعتراف بإلهية المسيح ونادوا جميعا ببطلان مساواة عيسى لله في الجوهر ، فاضطر

الإمبراطور أن يقيم مجمعا جديدا في أنطاكية ، فاشتد الجدال بين أعضائه ثم اعترفوا بصحة مذهب أريوس ، وبطلان رأي خصومه الذين دعوا أنفسهم أرثوذكس أي مستقيمي الرأي ، وأخذوا يطعنون على هذا المجمع ويسفهون رأيه .

ولما عاد أريوس إلى الإسكندرية بعد ارفضاض مجمع أنطاكيا استقبله الناس باحتفال عظيم وحملوه على أكتافهم ، فمات فجأة وسط هذا الفرح العظيم فاتخذ خصومه هذه حجة على أنه مبطل ، وزعموا أن الله قبل فيه دعوة الأسقف مكاريوس .

ثم مات الإمبراطور سنة 327 م بعد أن قسم مملكته بين أولاده الثلاثة وهم قسطنطين وقنسطنس وقنسطنت ، وكان يومئذ ماراتناسيون زعيم عقيدة إلهية المسيح مقيما بمنفاه فاستماح قنسطنت وقنسطنس أن يأمر بإقامة مجمع مسكوني آخر يحكم بين المجمعين السابقين ، فاجتمع الأساقفة الشرقيون في فيليا ، وحرموا أثناسيوس ، وأما الأساقفة الغربيون فاجتمعوا في ساردیکا وحرموا الأريوسيين وكان الناس حيارى أمام هذين الرأيين المختلفين .

ولما رأى البابا ليباريوس أن مجمع ساردیکا أخفق في مسعاه طلب إلى قنسطنس تأليف مجمع جديد في مدينة ميلان فلبى الملك طلبه واجتمع الأساقفة فطلبوا تأييد الحكم على أثناسيوس ، فعارضهم الأساقفة الغربيون ، وكثر الخصام وارفض المجمع على غير طائل ، فنفى الملك الأساقفة الغربيين وفيهم البابا ليباريوس لعدم تأييدهم الحكم على أثناسيوس ، ثم أمر بإنشاء مجمع آخر ، ولما تعذر حشد جميع الأساقفة في مكان واحد ارتأى أن يجمع الأساقفة الغربيين في ريميني والشرقيين في سلوفيا ، فكان أكثر أعضاء مجمع ريميني من الأرثوذكس ، ومجمع سلوفيا من الأريوسيين ، فرضي حزب أريوس في مجمع ريميني أن يبدلوا قولهم عن الإبن أنه مساو للأب في الجوهر بقولهم

أنه مشابه له في الجوهر ، فأبى الأساقفة الغربيون قبول ذلك وحرموا الأريوسيين فعيل صبر الملك قنسطنس فأرسل أمرا إلى الأساقفة المجتمعين في ريميني بأن يوقعوا القانون الجديد وأمر جنوده بأن لا يدعوا أسقفا يبارح المدينة قبل التوقيع ، وبعد نزاع دام أربعة أشهر اضطر الأساقفة إلى إلغاء عبارة مساو للأب في الجوهر .

فاتبعت النصرانية مذهب أريوس حتى موت قنسطنس سنة 351 م ، وبعد موته نهض الأساقفة الغربيون ينادون بمساواة الإبن للأب في الجوهر ويلعنون الأريوسيين ، واشتد الخصام بين الطائفتين وفعلت كل واحدة بالأخرى من الفظائع ما لم يُروَ مثله في التاريخ .

فلما تولى الملك ثيودور وكثرت غارات المتوحشين على حدود المملكة الرومانية، رأى هذا الإمبراطور أنه لاقبل له برد غاراتهم إلا بحسم مادة الشقاق الداخلي في بلاده ، فأمر جميع النصارى باتباع مذهب البابا داماسيوس ، واعتبر كل من يخالف مبتدعا مستوجبا للعقاب ، ولكن هذا الإمبراطور لم يجسر أن يسري أمر هذا في الشرق لكثرة أتباع أريوس ، فاحتال القديس أمفيلوك على الملك بحيلة حمله بها على الإيقاع بالأريوسيين في جميع المملكة الرومانية .

وتلك الحيلة هي أن أركاديوس ابن ثيودوز قد سُمي قيصرا أيام أبيه وكان القديس أمفيلوك يومئذ مقيما في بلاط الإمبراطور فلم يؤد واجب الاحترام الإمبراطوري لأركاديوس ، فنبهه ثيودوز إلى تقصيره ، وأمره أن يحيي ابنه أركاديوس بالتحية الملكية ، فدنا أمفيلوك من أركاديوس ولاطفه كما يلاطف الأب ولده ، ولكن لم يؤد له الاحترام الواجب لأبيه الإمبراطور والتفت إلى ثيودوز وقال له : تكفي ابنك هذه الملاطفة ، أما الاحترام الملكي فلا يحق إلا لك وحدك ، فغضب ثيودوز من هذا الجواب وطرد أمفيلوك من حضرته فقال له القديس :مولاي أنت تمقت من لا يؤدي الاحترام الواجب لك لابنك ، فكيف

لا يمقت إله السماء والأرض من يغمط حق ابنه الوحيد ولا يؤدي له مثل التعظيم الذي يؤديه له ؟ فاتعظ ثيودوز من هذا المثل وأمر بطرد الأريوسيين من المدن بلا إمهال فشتت شملهم وسلب الحق المدني من كل من لم يسلم بقانون المجمع النيقاوي الذي أقر عقيدة مساواة الإبن للأب في الجوهر ، فتأيدت عقيدة ألوهية المسيح بهذه الوسيلة ، ونصرتها السلطة السياسية بكل وسائل النصرة [1].

والخلاصة أن المسيحية المعتمدة اليوم لم يأت بها المسيح لوحده – كما كان يجب أن يكون _ وإنما أرسى المسيح المباديء الأخلاقية للمسيحية ، وكذلك نظرتها الروحية ، أما مباديء اللاهوت فهي من صنع القديس بولس ، فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية ، ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح ، والعقائد المشهورة في المسيحية ( تأليه المسيح – الخطيئة الأولى – الفداء)[2] ، فيما أضاف تلاميذه والمجامع بقية العقائد والطقوس ، والتناقضات والخلافات في المسيحية مصدرها هذه الإضافات .

**المراجـع :**

[1] – جوش ماكدويل – نجار وأعظم – ترجمة سمير الشوملي – دار فيدا .

[2] – شارل جنيبر – المسيحية نشأتها وتطورها – ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود – منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت .

---

[1] – محمد فريد وجدي – دائرة معارف القرن العشرين –دار المعرفة بيروت لبنان – الطبعة الثالثة مجلد 10 ص 202 وما بعدها .

[2] – مايكل هارث – الخالدون مائة – ترجمة أنيس منصور – الزهراء للإعلام العربي – الطبعة السابعة 1986 – القاهرة ص 23-24

3- محمد أبو زهرة – محاضرات في النصرانية – شركة الشهاب – الجزائر1989 .

[4]Berry - Religions of The World -p.70

[5] – أحمد شلبي – مقارنة الأديان -2 - المسيحية – مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

6 - رحمة الله الهندي – إظهار الحق – المكتبة التوفيقية القاهرة

7 - رسائل بولس – انظر العهد الجديد

8 - محمد فريد وجدي – دائرة معارف القرن العشرين – دار المعرفة بيروت لبنان – الطبعة الثالثة .

[9] – مايكل هارث – الخالدون مائة – ترجمة أنيس منصور – الزهراء للإعلام العربي – الطبعة السابعة 1986 – القاهرة